

أثر الجانب الانفعالي للاغتراب وما ينتج عنه من مراحل تمهيد نفسى واجتماعى فى تعلم اللغة الأجنبية

د/ ابراهيم حمد القعيد *

تمهيد :

ازداد التركيز فى العقود الأخيرة على دراسة العلاقة بين الجوانب الانفعالية فى شخصية الانسان وأثرها على تعلم اللغات الأجنبية . وخرج كثير من الدراسات يؤصل أهمية هذا الجانب ويوضح الأثر الإيجابى فى تحقيق أهداف التعلم والاكساب اللغوى عندما يحفز الجانب الانفعالى ويؤخذ فى الحسبان .

وتمثل تجربة الاغتراب وانتقال متعلم اللغة الأجنبية من موطنه الأصلي الى مجتمع وثقافة اللغة التى يرغب فى تعلمها تجربة انفعالية مثيرة لها آثار كبيرة على تعلم واتقان اللغة ، وذلك بسبب مايتعرض له المتعلم من ظروف نفسية ومن مراحل معقدة من التكيف النفسى والاجتماعى فى البيئة الثقافية الجديدة . ويلاحظ أن تعلم اللغة الأجنبية فى مثل هذه الظروف له غالباً نتائج إيجابية أكثر من النتائج التى يمكن الحصول عليها عند تعلمها فى ظروف مختلفة . ويعزى هذا الى الاحتكاك الاجتماعى والالتقاء الثقافى المباشر بمجتمع اللغة المرغوب تعلمها والاضطرار الى استعمال اللغة بصفة مستمرة . ولكن، هل يكفى أن نعزو النجاح فى تعلم اللغة الأجنبية فى بيئتها الثقافية الى مجرد الحديث عن الاحتكاك بمجتمع اللغة بدون محاولة التعرف الشامل على هذا الاحتكاك ؟ ما طبيعته ؟ وماهى الظروف النفسية والمعرفية المصاحبة للاحتكاك الاجتماعى والالتقاء الثقافى بين متعلم اللغة ومجتمع اللغة الأجنبية التى تجعل من التعلم أكثر نجاحاً وتحقيقاً للأهداف ؟

تعالج الدراسة الحالية هذه القضية ، وتركز على تحليل العلاقة بين الجانب الانفعالى وتعلم اللغة الأجنبية ، وتأخذ من تجربة الاغتراب والحياة فى البيئة الثقافية للغة المرغوب تعلمها موضوعاً لدراسة الجانب الانفعالى وأثاره على تعلم واكتساب اللغة، وتستخلص الدراسة من ذلك بعض النتائج فيما يتعلق بتعلم اللغة الأجنبية وطرق تدريسها .

*معهد اللغات والترجمة . جامعة الملك سعود .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الى الاجابة عن الاسئلة الآتية :

١- ما أثر الجانب الانفعالي فى شخصية المتعلم على تعلم اللغة الأجنبية واتقانها؟

٢- لماذا يحقق تعلم اللغة الأجنبية فى بيئتها الثقافية وفى الموطن الأصيل لتحديثها ، نتائج ايجابية أكثر من النتائج التى يمكن أن تتحقق خارج هذا الإطار ؟

٣- ما نوع العلاقة بين مراحل التكيف النفسى والاجتماعى التى يمر بها المتعلم فى معاشته ثقافة جديدة وبين تعلم اللغة الأجنبية لهذه الثقافة واتقانها ؟

٤- ماهى التوجهات التربوية وطرق التدريس الملائمة التى تساعد على تحفيز الجانب الانفعالي لدى المتعلم ، (وخاصة فى فترة الاغتراب) ، لتعزيز عملية التعلم اللغوى ؟

مجال الدراسة وأهميتها :

تحدد الدراسة مجالها فى تعلم اللغة الأجنبية لغير الناطقين بها عند تعلمها فى بيئتها الثقافية وفى وسط مجتمع المتحدثين الأصليين ، كتعلم الانجليزية فى بريطانيا والفرنسية فى فرنسا والعربية فى مصر والمملكة العربية السعودية ، ومن ثم فالمعالجة والنتائج مرتبطة بهذا المضمون ولا تتسحب على تعلم اللغة الأجنبية خارج بيئتها الثقافية . ولتحقيق أهداف الدراسة والاجابة عن الاسئلة المطروحة تركز الدراسة على المحاور التالية:

المحور الأول : دراسة الجانب الانفعالي وعلاقته بتعلم اللغة الأجنبية ، ويشتمل هذا المحور على دراسات وأبحاث ذات علاقة فى مجال علم اللغة الاجتماعى ، وعلم اللغة النفسى ثم جمعها واستخلاص نتائجها .

المحور الثانى : دراسة وتحليل مفهوم الشاآف فى تجربة الاغتراب وما ينتج عنه من مراحل تكيف نفسى واجتماعى يمر بها متعلم اللغة الأجنبية عند تعلمه للغة فى بيئتها الثقافية وموطنها الأصيل .

المحور الثالث : دراسة وتحليل العلاقة بين مراحل التكيف وتعلم واتقان اللغة الأجنبية .

المحور الرابع : الاشارة الى النتائج التى تم الوصول اليها فيما يتعلق بتعلم وتعليم اللغة الأجنبية .

وتأخذ الدراسة أهميتها من الربط بين الدراسات والأبحاث في مجال علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وتلك الدراسات والأبحاث في مجال الثقافة والاتصال الحضارى ، وهى مجالات ثلاثة لها اهتماماتها واتجاهاتها المتباعدة . وقد شجعنى على الربط بين هذه المجالات معرفتى بحكم تخصصى للمجالين الأولين (علمى اللغة الاجتماعى والنفسى) ، واهتماماتى المتزايدة بموضوع تجربة الاغتراب وأثارها النفسية والاجتماعية على الطلبة المغتربين (١) ، وقد وجدت بأن مثل هذا الربط قد يساعد فى تعريفنا على أهم عوامل التعلم اللغوى وأفضل الطرق والأساليب لتعلم وتعليم اللغات الأجنبية فى بيئاتها الثقافية .

ولابد من الإشارة الى أن أغلب البحوث والدراسات العلمية التى ستأتى فى هذه الدراسة كتبت باللغة الانجليزية ، ولقد قمت بترجمة ونقل أهم أفكارها ونتائجها الى العربية ومن ثم قد تكون أغلب النتائج مرتبطة بالانجليزية كلفة أصلية أو أجنبية ، أى أن الدراسات غالبا إما أن تكون قد أجريت على متحدثين أصليين بالانجليزية يتعلمون لغات أجنبية ، أو مهاجرين وطلبة مغتربين يتعلمون الانجليزية كلفة أجنبية فى بيئتها الثقافية ، وبالأذات فى الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى هذا عندما نعمم النتائج على متعلم اللغة الأجنبية لابد أن يؤخذ ذلك بالحسبان .

الجانب الانفعالى وتعلم اللغة الأجنبية :

قبل حوالى ثلاثة عقود من الزمن نبه العالم ارنست هيلجارد Ernest Hilgard (١٩٦٣) ، المعروف بدراساته حول الادراك والتعلم ، على أهمية الجانب الانفعالى فى العملية التعليمية ، وأكد بأن (ربط نظريات التعلم بالناحية العقلية البحتة مرفوض من أساسه ، اذا لم يؤخذ بالحسبان دور الجانب الانفعالى) (٢) وذلك لأن هذا الجانب وما يدخل فيه من مشاعر وعواطف جزء مهم من السلوك الانسانى ولا يمكن اغفاله والاكتفاء بدراسة الاعتبارات المعرفية .

ويقدم لنا تصنيف بلوم Bloom's Taxonomy (١٩٦٤) الشهير للمجال الانفعالى تعريفا موسعا لهذا المجال وما يمثله من أهمية ، ويتضح هذا التعريف فى المستويات الخمس للمجال الانفعالى التى ذكرها بلوم وهى :

١- الاستقبال ، حيث لابد أن يعرف الشخص البيئة من حوله ويدرك الأحداث والظواهر والناس والأشياء ويكون على استعداد لتحمل المثيرات والتنبه لها .

٢- الاستجابة ، حيث لابد أن ينتقل الشخص من الاستقبال الى الاستجابة ، وتختلف هذه الاستجابة من مستويات دنيا الى مستويات عالية من التفاعل الطوعى والشعور بالرضا عن النفس من جراء الاستجابة .

٣- التقييم ، وهو اعطاء قيمة للأشياء أو الأشخاص أو السلوك . ويعبر التقييم عن آراء ومعتقدات ، وقد يلخذ الانسان بعض الوقت للبحث عن القيم والرغبة فيها وتشكيلها حتى الى مرحلة كمال الاعتقاد .

٤- التنظيم ، وهو تنظيم القيم فى منظومة من المعتقدات وربطها بعلاقات ، وبناء تصنيف هرمى لهذه القيم فى ضوء المنظومة .

٥- فهم الذات فى ضوء منظومة القيم التى شكلها الشخص لنفسه ، حيث يتصرف الشخص بعد ذلك بطريقة منظمة حسب القيم والاتجاهات والمعتقدات والميول التى تشكل فلسفة حياة خاصة (٢) .

وإذا كان للجانب الانفعالى أهميته القصوى فى التعليم فإن ذلك يصدق على التعلم اللغوى أكثر من غيره من أنواع التعلم لأرتباط اللغة بالسلوك الانسانى . يقول كنه بايك Keneth Pike (١٩٦٧) : (اللغة نوع من السلوك وهى جزء من النشاط البشرى الذى ينبغى ألا ينظر اليه بمنأى عن النشاط البشرى غير اللغوى ، فنشاطات الانسان تشكل كلا مترابطا لا يمكن تقسيمها الى أجزاء أو مستويات أو فئات محددة ، ولا يمكن وضع اللغة فى فئة سلوكية معزولة بذاتها ومحتواها ونظامها عن أنواع السلوك الأخرى (٤) .

وفى مجال علم اللغة الاجتماعى قدمت لنا الأبحاث الحديثة الكثير من الأدلة والشواهد على أهمية الجانب الانفعالى فى تعلم وإتقان اللغة الثانية .

ومن أبرز هذه الأدلة أثر بعض الظواهر الثقافية والاجتماعية ، مثل المسافة الاجتماعية social distance والمسافة النفسية psychological distance والاتجاهات والميول attitudes and interests والحوافز motivations فقد وجد جون شومان John Schumann (١٩٧٦) بأن مدى إتقان اللغة الأجنبية عند تعلمها فى بيئتها الثقافية يعتمد على المسافة الاجتماعية بين ثقافة المتعلم (طالبا كان ، أم زائرا ، أم مهاجرا) وبين ثقافة المجتمع الذى قدم اليه . فاذا كانت ثقافة المتعلم مختلفة كثيرا عن ثقافة المجتمع الذى قدم إليه ، فذلك لايساعد على تعلم اللغة ويؤدى الى صعوبة إتقانها . أما إذا كانت المسافة الاجتماعية قصيرة بين ثقافة المتعلم وثقافة المجتمع الذى قدم اليه لتعلم لغة ، فهذا يساعد على إتقان اللغة ويجعل تعلمها أسير وأسرع (٥) . وقد شرح شومان بالتفصيل

بعض الأمثلة الافتراضية الجيدة للأوضاع الاجتماعية التي يتم بها التعلم يسر وسهولة لأنها تعبر عن قرب المسافة الاجتماعية . كما قدم بعض الأمثلة لأوضاع البيئة التي صعب فيها التعلم لأنها تعبر عن بعد المسافة بين ثقافة المتعلم وثقافة اللغة الهدف

وعلى الرغم مما لنموذج المسافة الاجتماعية من قبول ، وما قد يكون فيه من امكانية توفير تفسير معقول لمدى سهولة أو صعوبة تعلم اللغة الأجنبية في بعض الأحيان، فإن المعضلة التي واجهت الباحثين هي كيفية قياس هذه المسافة الاجتماعية في عقل ونفس المتعلم (٦) ، فقد يكون هناك متعلم ثقافته تتسم ببعد المسافة الاجتماعية من ثقافة اللغة الهدف (اللغة التي يرغب تعلمها) ولكنه لسبب أو لآخر يشعر بقرب المسافة الاجتماعية بينه وبين الثقافة الأجنبية ، وقد يوجد العكس تماما .

واقصور نموذج المسافة الاجتماعية في توفير أداة تفسر بانتظام عملية النجاح في الاكتساب اللغوي ، اقترح شومان نفسه نموذجا آخر أكثر التصاقا بالجانب الانفعالي للتعلم أطلق عليه اسم المسافة النفسية ، ويقصد بالمسافة النفسية ما يراه الفرد فعليا من مسافة بينه وبين ثقافة اللغة الأجنبية التي يتعلمها . وهذه المسافة ليست بين ثقافتين بل مسافة بين فرد وثقافة . وفي ضوء نموذج المسافة النفسية يعتمد اتقان اللغة الأجنبية على عدة عوامل ترجع للفرد نفسه وليس بالضرورة لثقافته ، من هذه العوامل، مثلا مدى التعاطف مع ثقافة اللغة ، ومدى الرغبة في الاندماج مع المجتمع ، ونوع الاتجاهات التي يحملها المتعلم ازاء المجموعة الثقافية التي يرغب في تعلم لغتها . وقد اختصر جون شومان نموذج المسافة النفسية وعلاقتها باتقان اللغة الأجنبية بتأكيد على أن مدى اتقان اللغة الأجنبية تحدده درجة الاندماج مع ثقافة اللغة الأجنبية ، بمعنى أنه كلما ازداد اندماج المتعلم مع ثقافة اللغة التي يتعلمها ، أدى ذلك الى اتقانه لهذه اللغة (٧) . وقد طور وليام أكتون William Acton (١٩٧٩) مقياسا أطلق عليه (استبيان قياس الاختلافات المعانة ؟ Wrofessed Difference of Attitude Questionnaire لقياس المسافة النفسية الفعلية بين متعلم اللغة والمجموعة الثقافية التي يتعلم لغتها ، وأوضحت نتائج دراسته الأهمية البالغة للمسافة النفسية وعناصرها الانفعالية في تعلم واتقان اللغة الأجنبية (٨) .

وبالنسبة للاتجاهات والميول وأثرها في تعلم واتقان اللغة الأجنبية ، هناك العديد من الدراسات والبحوث التي تؤكد على أهمية الاتجاهات والميول الإيجابية . ومن هذه الدراسات الشهيرة التي أجراها جاردنر ولامبرت Gardner and Lambert (١٩٦٦) على الطلاب الكنديين المتحدثين بالانجليزية والذين يتعلمون الفرنسية كلفة ثانية . فقد وجد الباحثان أن هناك علاقة وثيقة بين ما يحمله الطلبة من مشاعر تجاه ثقافة اللغة الأجنبية

وبين اتقانهم لهذه اللغة . فالطلبة الذين أبدوا تعاطفا مع ثقافة الكنديين الفرنسيين وأبدوا استعدادا لفهمها ، وكانت لديهم اتجاهات ايجابية ومشاعر جيدة نحوها ، كان مستوى تحصيلهم اللغة الفرنسية مرتفعا واتقانهم لها أفضل (٩) .

وباستعمال عينات من الطلاب الدارسين للغات أجنبية متنوعة ومستويات مختلفة وصل كثير من الباحثين لنفس النتائج (جاكو بوفتس Jakobovits ١٩٧٠ ، نيلسون Nelson وجاكوبوفتس ١٩٧٠ ، بيجن Begin ١٩٧١ ، جاردر Gardner ١٩٧٥ الملا ١٩٧٩م) .

ويقدم لنا الباحثان السويديان لويس Lewis وماساد Massad (١٩٧٥) دليلا على أهمية الاتجاهات ويربطان ذلك بالعناصر الأساسية الأخرى التى تنبئ عن النجاح فى تعلم الأجنبية ، وذلك فى دراستهما الموسعة التى حلا فيها نتائج تعليم اللغة فى عشر دول ، حيث وصلا الى النتيجة الآتية : يبدو أن العناصر الأساسية التى تعتبر مؤشرات مهمة لتحقيق النجاح فى تعلم الانجليزية كلفة ثانية فى الدول التى تمت دراستها تتمثل فى الوقت المخصص لهذه اللغة والممارسات الفصلية واتجاهات وميول الطلاب نحو اللغة والمجموعة الثقافية التى تتحدثها (١٠) . أما الحوافز Motivations فقد وجد أنها أساس فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية وقوتها لدى المتعلم بأنها مؤشر على زيادة الاتقان اللغوى (سبولسكى Spolsky ١٩٦٩ ، قاردنر وسانتوس Santos ١٩٧٠ ، لقمانى Lukmani ١٩٧٢ ، قاردنر ١٩٧٥ ، كاتشرو Kachru ١٩٧٦) . ولا أعرف خلافا بين الباحثين حول هذه القضية . وقد يوجد بعض الاختلاف حول أى أنواع الحوافز أكثر تأثيرا من غيرها على عملية الاتقان اللغوى . حيث يصنف الباحثون حوافز التعلم الى صنفين : حوافز تكاملية Integrative Motivations وحوافز وسيلية Instrumental الحوافز الثقافية الاجتماعية (التكاملية) تعنى الرغبة فى تعلم اللغة الأجنبية بسبب الاعجاب بثقافة هذه اللغة أو بهدف الانتماء الى ثقافتها ، والاندماج فى مجتمعها ، أما الحوافز الوظيفية فهى استعمال هذه اللغة كوسيلة لاهداف عملية مثل الحصول على عمل او التخصص فى علم اتقان مهنة او التعرف على ثقافة ، وقد يكون الحافز للتعلم اللغوى مزيجا من النوعين ويطلق عليه الحافز العام (١١) .

هذا فيما يتعلق بأهمية الجانب الانفعالى فى عملية تعلم اللغة الأجنبية والتى أوضحتها النتائج التى قيمتها لنا الدراسات فى مجال علم اللغة الاجتماعى وأثر الظواهر الثقافية الاجتماعية مثل المسافة الاجتماعية والمسافة النفسية والاتجاهات والميول والحوافز . ومن ناحية أخرى تقدم لنا الأبحاث والدراسات الحديثة فى مجال علم اللغة

النفسى مجموعة أخرى من الشواهد على أهمية الجانب الانفعالى فى عملية تعلم واتقان اللغة الأجنبية . ونختار من هذه الأبحاث والدراسات العوامل التالية : جدارة الذات Self-esteem ، الانبساط (الانفتاح الاجتماعى) ، العدوانية ، والمشاركة الوجدانية ، وأثرها فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية .

أما جدارة الذات فتتقصد بها (التقويم الذى يضعه الفرد لنفسه ويستمر فى المحافظة عليه ويعبر عن موقف الرضا أو عدمه ، بين حدود ثقة الفرد بقدرته وأهميته ونجاحه وقيمه ، جدارة الذات باختصار هى حكم شخصى عن القيمة التى يعبر عنها الشخص ويحتفظ بها تجاه ذاته ، وهى كذلك خبرة شخصية ينقلها الفرد الى الآخرين من خلال أقواله ومظاهر سلوكه الخارجية الأخرى (١٢) .

وتؤكد المدرسة الانسانية فى التربية على أهمية توفير الاحترام للمتعلّم وتحفيزه على التعلم الهادف الفعال عن طريق تدعيم الثقة فى نفسه وتعريفه على مواطن القوة فى شخصيته وتطويرها وتبنى النمو النفسى والعقلى المتوازن .

وتربط هذه المدرسة بين النجاح فى التعلم وبين الثقة فى النفس والصورة الحسنة عن الذات والرغبة فى تحقيق الذات وتميزها (١٣) .

ويقدم كارل روجرز أحد أقطاب هذه المدرسة ، هذه الأفكار النظرية بكثير من الشواهد والأدلة من خبراته فى التعلم ، ويؤكد على أن النظرة الايجابية للذات والشعور بالقيمة بالاضافة الى المشاركة والاهتمام زادت من فرص اكتساب الخبرات التعليمية وتحقيق النجاح فى التعلم (١٤) .

وقد دلت الدراسات على أن للنظرة الايجابية للذات والثقة بالنفس واحترامها أثراً ايجابياً فى تعلم واتقان اللغة الأجنبية ، ودلت الشواهد على ارتباطات قوية بين النجاح والتعلم اللغوى وبين النظرة الايجابية للذات ، فقد وجدت أدليد هايدي Adelaide Heyde (١٩٧٩) ، على سبيل المثال : أن هناك ارتباطاً ايجابياً قوياً بين ارتفاع مستوى النظرة للذات وبين الأداء الشفوى لطلاب المرحلة الجامعية فى الولايات المتحدة الامريكية الذين يدرسون اللغة الفرنسية كلفة أجنبية (١٥) .

ولقد أدخلت مجموعة من الدراسات مقاييس جدارة الذات كمؤشرات للنجاح فى تعلم الثانية (قاردنا ولامبرت ١٩٧٢ ، برودى Broodkey وشور Shore ١٩٧٦ كما أدخل جير ترود مسكوتز Gertrude Moskoritz ١٩٧٨ فى منهجه لتعليم اللغة الأجنبية العديد من الأمثلة والأساليب والأنشطة التى تدور حول النظرة الايجابية للذات والتى يمكن للمعلمين اتباعها لزيادة فرض الاكتساب اللغوى لدى الطلاب (١٦) .

أما الانبساط (الانفتاح الاجتماعى) ، ويقابله الانطواء فى شخصية الانسان ، فقد دلت الدراسات النفسية على أن له تأثيراً ايجابياً على عملية التعلم ، حيث وجد أن الشخص المنبسط الذى يميل الى المبادرة فى الحديث وعمل العلاقات مع الآخرين أكثر فرصة للنجاح فى التعلم من الشخص المنطوى (١٧) . وقد أشار بوجلاس براون Douglas Brown (١٩٨٠) الى أهمية الانبساط المتوازن (غير المبالغ فيه) فى عملية التعلم اللغوى وامكانية كونه عاملا من عوامل نمو الكفاية الاتصالية Communicative Competence الشفوية العامة فى اللغة الأجنبية والتي تتطلب التفاعل وجها لوجه ، ولكن قد لا يكون للانبساط نفس الأثر فيما يتعلق بمهارات الاستماع والقراءة والكتابة (١٨) .

وبالإضافة الى ذلك يتبين من الدراسات التى أجريت حول أثر الجسارة فى التعلم بأن الجسارة تمثل أحد العناصر المهمة التى تساعد على التعلم وخاصة لدى الأطفال ، وتعرف الجسارة بطرق مختلفة مثل (أنماط من السلوك الهدف منها .. الاساءة الى الشخص الموجهة إليه) ومثل الاستجابة لمثير يكون الهدف من ورائه الاعتداء ، أو الاساءة أو التخريب (١٩) .

وقد درس لافورج Laforge (١٩٧١) العلاقة بين العدوانية وتعلم اللغة الأجنبية ووجد بأن الجسارة ، عندما استثيرت بين الطلاب فى الفصل الدراسى أدت الى زيادة فرص الاتصال والتعبير عن النفس وتخفيف الدفاعات عن الذات التى عادة ماتعوق الاتصال (٢٠) ، ويؤكد بوجلاس براون بأن هناك شواهد تدل على علاقة الجسارة بالتعلم اللغوى الناجح وبأن الجسارة يمكن أن تكون أحد العناصر التى تحفز المتعلم على تعلم اللغة (٢١) .

وأخيرا تمثل المشاركة الوجدانية أحد الجوانب الانفعالية المهمة فى شخصية الانسان ، والتى لها تأثير على تعلم اللغة الأجنبية ، وتعتبر المشاركة الوجدانية أحد المتغيرات الشخصية التى يصعب تعريفها . ولكن يمكن القول بأنها وضع الانسان نفسه مكان غيره من الناس أو امتداد الانسان خارج حدود ذاته بحيث يمكنه الاشتراك فى فهم ما يفهمه الآخرون والشعور بما يشعرون (٢٢) : وقد عرف جيورا Guiora (١٩٧٢) المشاركة الوجدانية بأنها (اقتباس الفهم التى يسمح فيها الصهر المؤقت لحدود الذات ، والتى تمكن الشخص من ادراك عاطفى أنى للخبرة الوجدانية لشخص آخر (٢٣) : كما أكد جيورا على أهمية المشاركة الوجدانية فى عملية التعلم وبأن مباشرة أى مهمة تعليمية : خاصة تعلم اللغة الثانية ، لابد لها من اختراق لحدود نواتها بحيث تكون قادرين على ارسال واستقبال الرسائل بوضوح (٢٤) . وقد طور مجموعة من الباحثين عدة

اختبارات لقياس المشاركة الوجدانية وطبقوها لاكتشاف صفات المتعلم الجيد للغة (هوجان Hogan ١٩٦٩ ، جيورا ١٩٧٢ : نيمان Naiman ، فروهليخ Frohlich وستيرن Stern ١٩٧٥) ، وانتشرت فى السنوات الأخيرة العديد من الأساليب وطرق التعليم التى تنظم وتقدم دروس اللغة الأجنبية على أساس مشاركة وجدانية عالية . كما يحدث على سبيل المثال فى طريقة التعليم المعروفة بتعلم اللغة الجماعى Community Language Learning التى اكتسبت شهرة واسعة والتى تستخدم فيها مبادئ توثيق العلاقات الانسانية بين مجموعة الدارسين للمساعدة فى تعلم اللغة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قدمت لنا الدراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا والاتصال الحضارى بعض النتائج المثيرة المتعلقة بالجانب الانفعالى للانسان والتى قد تلقى الضوء على تعلم واتقان اللغة الأجنبية وتفسر لنا بعض أسباب النجاح فى هذا المجال ، وسيكون مدخلنا لدراسة هذا الجانب تناول ظاهرة الثقاف وما ينتج عنها من مراحل للتكيف النفس والاجتماعى فى فترة اغتراب المتعلم فى ثقافة اللغة التى يرغب تعلمها .

مراحل التكيف النفسى والاجتماعى :

لتوضيح مفهوم التكيف النفسى والاجتماعى علينا دراسة وتحليل مايعرف بظاهرة الثقاف Acculturation أو (التبادل الثقافى) ، وتعرف هذه العملية على أنها : التبادل الثقافى المشترك الذى يحدث عندما يتصل أفراد من ثقافتين ، أو ثقافات متعددة ببعضهم البعض (٢٥) ، كما تعرف على أنها : النتائج التى تحصل عندما تتوفر الفرصة للاتصال المستمر : والمباشر ، بين مجموعات من الأشخاص نوى ثقافات متعددة ، وما يتبع ذلك من تغير ثقافى فى احدى هذه المجموعات الثقافية أو فيها جميعا (٢٦) .

وقد خرج مصطلح الثقاف فى الأصل من تقاليد علم الاجناس Anthropology ويقصد به - غالبا - فى الدراسات الحديثة أساليب واستراتيجيات التكيف التى تستعملها بعض المجموعات الثقافية ، والاقليات ، للتعامل مع معطيات الحضارة الغربية .

ودراسة الثقاف بوصفها ظاهرة علمية : بالرغم من نشوئها - كما أسلفنا - فى مجال علم الاجناس ، والتعامل معها كظاهرة تتعلق بمجموعة ثقافية ، الا أنها فى الدراسات الحديثة تشمل أيضا دراسة الأشخاص ، ومدى مايتعرضون له من تأثيرات ثقافية : عند احتكاكهم بثقافة : أو ثقافات مغايرة . من أجل ذلك أصبحت المعالجات والدراسات الموجهة الى ظاهرة الثقاف ذات مستويين : المستوى الأول يتعلق بالمجموعات

الثقافية ، والمستوى الثانى يتعلق بدراسة الأشخاص . وعند الحديث عن الاتصال ، والاحتكاك ، وأساليب التكيف ، والنتائج التى تحمل من جراء ذلك ، فإن ما يصدق على المجموعة الثقافية (أمة ، جنس : وطن ، مجتمع ، مجموعة) يصدق فى نفس الوقت على الأشخاص (٢٧) .

ويرى جون برى JOHN BERRY (١٩٨٠) أن ظاهرة الثقاف عند حدوثها تأخذ مسارا ذا ثلاثة أطوار ، الطور الأول هو طور الاتصال ، وهو عندما تلتقى ثقافتان أو أكثر ببعضهما البعض عن طريق الاحتكاك المباشر بين الأفراد أو المجموعات ، والطور الثانى هو طور الصراع ، ويحدث بسبب الاحتكاك المباشر بين القيم ، والرؤى المختلفة والمتنوعة ، والتى تميز الثقافات الانسانية بعضها عن بعض والتى تكون الشخصية الانسانية - عادة - انعكاسا لها . وكقاعدة عامة ، فى كل الظروف التى يحصل فيها الاتصال الثقافى ، يقود هذا الاتصال - فى فترة ما - الى نوع من الصراع ، ولكن أبعاد الصراع تكون أعمق ، وحدته أشد ، كلما كانت الثقافتان أو الثقافات المتصلة مختلفة ، أى كلما كانت بعيدة عن بعضها البعض من نواح فكرية ونفسية ، فى نظرتها الى الانسان والكون والحياة . والطور الثالث والأخير هو التكيف ، ويقصد به الطرق المختلفة التى اتبعت لتخفيف حدة الصراع ، أو أدت الى انهاءه تماما (٢٨) .

والواقع أن الأطوار الثلاثة لظاهرة الثقاف هى أطوار نسبية ، تعتمد على الظروف الحضارية التى يتم فيها الاتصال بين الأفراد والجماعات ، فأقل مستوى من التبادل الثقافى يحصل عندما يكون الاتصال عرضيا : أو لفترة قصيرة وأقوى مستوى من هذا التبادل (وما ينتج عنه من صراع وتكيف) يحصل عندما يكون الاتصال مقصودا ومخططا له ، مثل السيطرة على مجتمع ما بالغزو العسكرى ، أو تغيير سماته ، ومقوماته الأساسية ، عن طريق التعليم ، أو التوجيه بشتى أنواعه ، أو عن طريق استيطان أرضه فترة طويلة من الزمن .

وقد أوضح جون برى JOHN BEERY ١٩٨٠ أربعة أنواع من عمليات الثقاف ، و تمثل أساليب وطرق ردود الفعل عندما يحصل التبادل الثقافى : وهى التمثيل Assimilation والاندماج Integration والرفض Rejection والتفرد Deculturation . التمثيل هو الاستسلام للثقافة الأقوى واكتساب انماطها الفكرية والسلوكية والانسلاخ من الميزات الثقافية التى كانت تميز المجموعة أو الفرد ، والاندماج هو المحافظة على نوع من الهوية الثقافية مع التحرك تجاه قبول القيم والتصورات التى تقدمها الثقافة الأقوى . والرفض هو أسلوب الانسحاب والعزلة الفكرية والنفسية بل والعزلة الجسدية فى بعض

الأحيان . والتفرد هو الانسلاخ من الثقافة والهوية الأصلية للمجموعة أو الفرد وضرباها ، وفى نفس الوقت رفض قيم الثقافة الأخرى . . أى قطع العلاقات الثقافية (الفكرية والاجتماعية والنفسية) مع كلتا الثقافتين وبالتالي تطوير ثقافة ثالثة مختلفة (٢٩) .

وقد وفرت الدراسات التى أجريت على الأفراد والأقليات فى المجتمع الأمريكى : كثيرا من المعلومات والحقائق العلمية ، التى أسهمت فى تعريفنا على ظاهرة التبادل الثقافى ، ومن هذه الدراسات - على سبيل المثال - ما قامت به سوزان كيف SUZAN KEEFE عن جهود فى اكتشاف أساليب التكيف ، التى يستعملها الأسبان الأمريكيون فى حياتهم مع الثقافة ، والمجتمع الأمريكى ، وقد خرجت الباحثة بنتائج أهمها أن عملية التبادل الثقافى بين المكسيكيين الأمريكيين (مجموعة من الأقلية الأسبانية الأمريكية ذات الأصل اللاتينى) وبين المجتمع الأمريكى أفرزت ثقافة جديدة ذات هوية ثقافية مميزة ، ثقافة لاتشابه الثقافة السائدة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنها ليست فى نفس الوقت مثل الثقافة المكسيكية التقليدية ، أى أن محافظتهم على بعض التقاليد والسمات الثقافية لثقافتهم الأصلية ، وامتصاصهم سمات ثقافية جديدة من مجتمع الولايات المتحدة ، قد أعطتهم شيئا من التميز والهوية المختلفة ، ويظهر هذه الهوية المميزة ، عملية اجتماعية معقدة ، أفرزتها عملية التبادل الثقافى ورسم أبعادها الجديدة تداخل عوامل مختلفة ، تتعلق بالاحساس القومى للأقلية ، والمحافظة على بعض السمات الثقافية ، والاستعداد لقبول سمات ثقافية جديدة ، مع الأخذ فى الاعتبار - بطبيعة الحال - مكانة كل من الثقافتين فى الميزان الحضارى والتقدم المادى (٣٠) .

ويتضح من نتائج دراسة سوزان كيف أن التوجه فى عملية التبادل الثقافى بين الأقلية المعنية ، والمجتمع الأمريكى ، يميل لاسلوب الاندماج . وقد دلت دراسات أخرى على أن تكيف المهاجرين الى أمريكا وأفراد الأقليات الأمريكية ، يخضع - بصفة عامة - لنموذج واحد ، هو الاندماج ، مع اختلاف فى الدرجة والسرعة من شخص الى آخر . واختلاف درجة الاندماج وسرعته قضية تتعلق بتأثير كثير من العوامل الداخلة فى عملية التبادل الثقافى ، مثل الفترة الزمنية التى قضتها أو ستقضيها المجموعة ، (أو الفرد) فى المجتمع الأمريكى ، والتمكن من اللغة الانجليزية ، والاسلوب العقلى ، ونمط الشخصية ، ومدى المحافظة على الهوية الثقافية ، ونوع الاتجاهات نحو المجتمع الأمريكى ، ومدى الشعور بالقلق الناتج عن التبادل الثقافى ، وأخيرا عمر الفرد وجنسه (ذكر أو أنثى) (٣١) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : ما هو موقع الطالب المغترب من معادلة التبادل

الثقافى هذه ؟ وللإجابة على هذا التساؤل نعيد للذاكرة ما أكدّه جون برى (١٩٨٠) من أن الدراسات والمعالجات الموجهة الى ظاهرة التبادل الثقافى ، ذات مستويين ، المستوى الأول يتعلق بالمجموعات الثقافية ، والمستوى الثانى يتعلق بدراسة الأشخاص ، وأن ما يصدق على المجموعة الثقافية (أمة ، جنس : وطن ، مجتمع ، مجموعة) يصدق فى نفس الوقت على الأشخاص منفردين عند اتصالهم بثقافات مختلفة (٢٢) .

وقد أجريت دراسات كثيرة حول موضوع الثقاف وأثاره على الطلبة المغتربين الدارسين خارج وطنهم . ويدل العديد من هذا الدراسات التى أجريت فى غضون العقول الأربعة الأخيرة بوضوح على صدق فرضية ما يعرف بشكل الانحناء الجرسى فيما يتفق بالتكيف الذى يمر به الطالب المغترب ، تشير هذه الفرضية الى أن تكيف الطالب المغترب فى الثقافة التى جاء اليها للدراسة يتبع ثلاث مراحل ، لكل مرحلة مظاهرها الخاصة ، فى المرحلة الأولى تتسم مشاعر الطالب بالاعجاب والتفاؤل مشوبة بالتقييم الإيجابى لثقافة اللغة الهدف ، فى المرحلة الثانية : تبدأ مشاعر الاحباط وخيبة الأمل من جراء عدم التمكن من تحقيق الأهداف والتوقعات مما يؤدى الى تطوير مشاعر وتوجهات سلبية ضد مجتمع وثقافة اللغة الهدف ، وفى المرحلة الثالثة : يصل الطالب الى نوع من التكيف يسمح له بالاحتكاك والتعامل الفعال مع مجتمع وثقافة اللغة الهدف (سكوت SCOTT ١٩٥٦ ، موريس MORRIS ١٩٦٠ ، سويل وديفدسن Swell and Davidsen ١٩٦٦ ، ديموز DEMOZE ١٩٧٦ ، فاهر لاندنر FAHRLANDER ١٩٨٠ ، شانديز Shandes ١٩٨١) .

وبالرغم من تشابه هذه المراحل الا أن الزمن الذى يكفى للمرور بها يختلف من طالب الى آخر ، حسب نوع شخصيته ، والظروف التى يعيش فيها (٢٣) .
وتعتبر الدراسة التى قام بها سول وديفدسن Swell and Davidsen , 1961 من أهم الدراسات فى الميدان ، وتقدم الكثير من التفاصيل حول فرضية الإنحناء الجرسى ، وقد استغرقت الدراسة أكثر من سنتين ، تتبع فيها الباحثان أربعين طالبا من اسكندنافيا ، قدموا للدراسة فى جامعة وست أنسون الأمريكية ، وكان الهدف من الدراسة معرفة التغيرات فى السلوك ، والاتجاهات التى تحدث لهؤلاء الطلبة ، من جراء حياتهم ، وتعاملهم مع المجتمع الأمريكى ، وقد تم جمع الكثير من المعلومات التى تتعلق بخلفية الطلبة الاجتماعية ، وتجاربهم ، ومشاعرهم نحو الأمريكان ، وطرق تعاملهم مع المحيط الاجتماعى من حولهم ، عن طريق المقابلات الشخصية وتعبئة استبيانات نموذجية ، كل عدة أسابيع ، وعن طريق التقارير الدورية التى كتبها الأساتذة الأمريكان المشرفون على

دراستهم ، وبعد تجميع المعلومات ، وتحليلها ، وتصنيفها ، استنتج الباحثان مرور الطلبة بثلاث مراحل من التكيف ، كما يتضح من التفصيل الآتى :

١- تأثر الطلبة كثيرا فى الأسابيع الأولى من قدومهم بالطريقة السريعة التى يبنى بها الأمريكان صداقاتهم مع الآخرين ، كما أعجبوا بحسن الضيافة التى قوبلوا بها ، مما أدى بهم - بصفة عامة - الى تكوين مشاعر حسنة تجاه الأمريكان .

٢- بدأ الطلبة ، بعد عدة أسابيع من حياتهم فى أمريكا ، فى تقليص علاقاتهم الاجتماعية بالأمريكان ، وبدأت المشاعر الحارة المتحمسة التى شكلت فى الأسابيع الأولى بالاختفاء ، وبدأوا يتحدثون عن سخطهم ، واستيائهم من الطريقة التى يبنى بها الأمريكان علاقاتهم الاجتماعية ، كما يتحدثون عن سطحية هذه العلاقات ، ويعبرون عن شكوكهم فى مدى مصداقية وإخلاص مثل هذه الصداقات التى تبنى على الطريقة الأمريكية ، وقد أدت هذه المشاعر الى نوع من خيبة الأمل ، ونوع من الانسحاب من الحياة الأمريكية . ويكاد يكون هناك اجماع بين الطلبة على الاحساس بالمرور بهذه المرحلة النفسية والشعور بآثرها القوي فى الشخصية ، على عكس المرحلة الأولى التى قد يكون الاحساس بها أخف .

٣- بعد عدة أشهر طرأت بعض التغيرات على نظرة كثير من الطلبة للحياة الأمريكية ، حيث وصل هؤلاء الى قنوات خاصة ، بتميز العلاقات الاجتماعية الأمريكية ، وبوجود كثير من الجوانب الإيجابية فيها ، وبمرور الزمن بدأ هؤلاء الطلبة فى بناء صلات قوية ، وصداقات طويلة الأمد ، مع الطلبة الأمريكان ، ومع الأساتذة فى الجامعة ، وحتى مع مواطنين من خارج البيئة الجامعية ، وبعضهم تعرف على عائلات أمريكية ، وقام بزيارتها باستمرار ، كما وصلت الرغبة فى الاندماج عند البعض ، الى الانضمام الى جمعيات طلابية أمريكية ، فى الحرم الجامعى ، والوصول فى بعض الأحيان الى مراكز قيادية فى هذه الجمعيات . وتتميز هذه المرحلة التى يمر بها الكثير من الطلبة بتكوين مشاعر ايجابية تجاه الحياة الأمريكية .

وإذا كانت ربود الفعل فى المرحلتين الأولىين متشابهة الى حد كبير ، فان ذلك لاينطبق على المرحلة الثالثة ، حيث وجد الباحثان ربود فعل متفاوتة تختلف من طالب الى آخر ، ومرد هذا الخلاف يرجع الى دخول عوامل كثيرة تتعلق بشخصية الطالب نفسه ،

وعمره ، ومدى مرونته فى التعامل مع البيئة الجديدة . وتقويمه للثقافة التى يحملها .. الى غير ذلك من العوامل . (٢٤) .

وفى ضوء هذه الدراسة التتبعية التى استغرقت - كما أسلفنا - سنتين ، تم خلالهما رصد التحولات فى سلوك واتجاهات الطلبة الاسكندنافيين ، الدارسين فى جامعة أمريكية ، لاحظ الباحثان أن ربود فعل الطالب عند حياته فى الثقافة الأمريكية ، والتحولات فى سلوكه ، واتجاهاته ، كانت متأثرة بالطريقة التى يرى ويقوم بها نفسه ، وبالطريقة التى يرى ويقوم بها ثقافته ، وكانت متأثرة كذلك بفكرة الأمريكيين عن الطالب شخصيا ، وعن الثقافة والبلاد التى ينتمى إليها .

وتتوافق نتائج دراسة كورا دويوا Cora Du Bois مع نتائج الدراسات السابقة ، إلا أنها تزيد مرحلة رابعة حسب التصنيف الآتى :

١- مرحلة المتفرج ، وتستغرق من أسبوعين الى شهر وهى معروفة بأنها مرحلة اكتشاف المحيط الذى يعيش فيه الطالب والتعرف على المظاهر السطحية لجوانب الحياة الأمريكية .

٢- مرحلة التكيف مع الحياة ، وتبدأ هذه المرحلة عند أغلب الطلبة عندما تبدأ الدراسة ، وتستمر لمدة شهور وهذه المرحلة تكون - عادة - مليئة بالمشكلات مثل مشكلة اللغة ، ومشكلة التعرف على النظام التعليمى الأمريكى ، ونوع الاختبارات ، والمتطلبات الدراسية ، ومشكلات فهم ، وبناء العلاقات مع الطلبة والاساتذة الأمريكان .. الخ .

٣- مرحلة التعود وقبول الحياة ، تبدأ هذه المرحلة عند أغلب الطلبة بعد انقضاء ستة الأشهر الأولى من الحياة فى أمريكا ، يعتبر الطالب قد ألف الحياة الاجتماعية : وتعود عليها : وأصبحت لديه حصيلة مناسبة من المعرفة الاجتماعية والأكاديمية .

٤- مرحلة ما قبل الرجوع الى الوطن ، وتتميز هذه المرحلة عند أغلب الطلبة بتشكيل اتجاهات ايجابية عن الحياة الأمريكية وبميول واضحة نحو الاندماج فيها . (٢٥)

وبناء على ماسبق من الدراسات العلمية نقدم طرعا نعتقد أنه يمثل رؤية واضحة عن المراحل التى يمر بها الطلبة المغتربون فى تكيفهم النفسى والاجتماعى ، ونأمل أن يلقى هذا الطرح الضوء على طبيعة هذه المراحل ، والفترات التى تستغرقها ، والضغط والمؤثرات الفكرية والسلوكية التى تتركها على شخصية الطالب ، ويتخلص التصور الذى

نظره بمرور الطالب بأربع مراحل متتابعة من التكيف هي :

- ١- مرحلة الانبهار .
- ٢- مرحلة الصدمة الثقافية .
- ٣- مرحلة التكيف الجزئي .
- ٤- مرحلة التكيف النهائي .

١- مرحلة الانبهار :

وهذه المرحلة هي بداية الاتصال الحضارى المكثف ، بين الطالب المغترب والثقافة الغربية ، وتتميز عادة بمظاهر الاستغراب والانطباعات السريعة لدى بعض الطلبة يشوبها شئ من السعادة والاطراء لهذه الثقافة الجديدة ، وأهم معيزات هذه المرحلة أن انطباعات الطالب وعملياته الاستكشافية تتسم بالسطحية . ولا تتعدى المظاهر الخارجية ، وتتردد على لسان الطالب فى هذه المرحلة عبارات المديح لكثير من اخلاقيات الثقافة الغربية (لما قد يراه من حسن المعاملة والأدب الاجتماعى) وللانجازات المادية لهذه الثقافة (لما قد يراه من اجازات حضارية وتوفر للخدمات) .

وقد أوضح كلارك Klarke ١٩٧٦ بعد دراسته لهذه المرحلة أن مظاهر مرحلة الانبهار تكون أكثر وضوحا عند أولئك الطلبة الذين يأتون الى الثقافة الغربية من مجتمعات أقل تقدما ماديا (٣٦) .

وتأخذ هذه المرحلة فترة قصيرة نسبيا اذا ما قورنت بمراحل التكيف الآخر حيث تتراوح : كما أفادت دراسة سول وديفيسن بين أيام قليلة وعدة أسابيع ، ولكنها على أية حال ، كما يستنتج من دراسة فرانكلين سكوت ، لا تستمر أكثر من شهر .

٢- مرحلة الصدمة الثقافية :

تتضح هذه المرحلة - عادة - عندما يكتشف الطالب الفروق الثقافية بينه وبين البيئة الثقافية الجديدة : وقد أشارت الدراسات التى أثبتت فرضية الانحناء الجرسى فى التثاقف الى هذه المرحلة : وفصلت دراسة سول وديفيسن السالفة الذكر الحديث عن بعض أبعادها : فقد وجد أنه على الرغم من عدم البعد الثقافى بين الاسكندنافيين والأمريكان ، فان الطلبة الاسكندنافيين بعد مرور عدة أسابيع من قدومهم الى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة ، بدأوا يقلصون علاقاتهم الاجتماعية بالأمريكان : ويفقدون

ذلك الحماس والتفويض السطحي للمظاهر الاجتماعية في الحياة الأمريكية ، كما أنهم بدأوا يعبرون عن استيائهم : وعدم اطمئنانهم لكثير من الانطباعات التي شكلوها في بداية قلوبهم .

وتكاد الدراسات حول هذه المرحلة تتفق على طبيعة الظروف النفسية والاجتماعية التي ترتبط بها وبأنها أصعب المراحل التي يواجهها الطلبة .

وقد عبر بيتر ادلر Peter Adler ١٩٧٢ عن جوهر الصدمة الثقافية على « أنها نوع من القلق الناتج عن فقدان المعايير الاجتماعية التي تعود عليها الفرد ، ويعكس الفرد الذي يعاني من الصدمة الثقافية قلقه وعصبية من الفروق الثقافية من خلال عدد من الأساليب الدفاعية كالكبت والنكوص والانعزال والرفض : وتتجلى هذه المواقف الدفاعية سلوكيا من خلال شعور خفي من النوف وعدم الاطمئنان يتجسد في الوحدة والغضب والاحباط والتشكيك في المقدرة الذاتية ، وفي غيبة المعينات ومفاتيح الفهم الثقافى التي ألفها الفرد في ثقافته الأم ، يصبح غير متكيف ويعتريه الخوف والاستغراب للأشياء في الثقافة الجديدة » (٢٧) .

ويصاحب الصدمة الثقافية - غالبا - تكوين كثير من الاتجاهات والانطباعات : تختلف عن تلك التي كونت في البداية (في المرحلة الأولى) . فيصاب الطالب بكثير من الاحباط ، لفقدان كثير من توقعاته التي بناها قبل قدومه : ولادراكه لسطحية الانطباعات التي تركتها أيامه الأولى في هذه البيئة الجديدة ، وفي بعض الأحوال النادرة يصاحب هذه المرحلة من التكيف أعراض مرضية : تتخذ شكل آلام في الرأس والمعدة : كما أشار الى ذلك دوجلاس براون Douglas Brown ١٩٨٠ (٢٨) . أوبعض المشاكل النفسية ، التي تتميز بالعديد من أنواع السلوك الشاذ : والشعور بالهامشية ، كما أثبتت ذلك دراسة لزابوزنك وزملائه Szapoxznik ١٩٨٠ (٢٩) .

ويلاحظ أن الطالب في هذه المرحلة يبحث عن المساعدة عند أبناء وطنه ، الموجودين في منطقة دراسته ، وقد يختار العزلة ، وربما ترد على لسانه عبارات الاستياء ، بل ان حالته قد تزداد سوءا لعدم استطاعته التكيف مع هذه البيئة ، مما قد يؤدي به الى التفكير جديا في الرجوع الى أرض الوطن ، وقد ينساق الى ذلك فعلا .

وتشير دراسة قام بها قسم الشئون الاجتماعية في الملحقة الثقافية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية : الى أن هناك ٨٠ طالبا سعوديا مبتعثا فضلوا قطع دراستهم : والعودة الى المملكة في الفترة من مايو ١٩٧٩ م الى يونيو ١٩٨٠ م : وأن ١٨ طالبا منهم (أى ٢٢ ٪) من مجموع الحالات عانوا الى الوطن لأسباب نفسية ،

واضطرابات عقلية (٤٠) .

وليس فى الامكان تحديد الفترة الزمنية التى تستغرقها هذه المرحلة بدقة ولكنها بصفة تقريبية تتراوح بين عدة أسابيع وعدة أشهر : وهى عند أغلب الطلبة لاتزيد على ستة أشهر (٤١) .

٣- مرحلة التكيف الجزئى :

ان وضع الطالب وشعوره بأنه أصبح جزءا من البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة ، يفرض عليه كثيرا من عمليات التكيف الاجتماعى والنفسى بحيث يتمكن من العيش بسهولة : كما يفرض عليه كثيرا من عمليات التكيف الاكاديمى مع نظام التعليم الذى قدم اليه من أجل التحصيل العلمى : وبذلك يبدأ مرحلة التكيف الجزئى ، وهى بداية التعامل الفعلى مع البيئة الجديدة ، وفى هذه المرحلة يتم التكيف التدريجى شيئا فشيئا : وتبدأ بعض المشاكل التى تعرض لها الطالب فى مرحلة الصدمة الثقافية فى الاختفاء ، كما أن الأعراض الخاصة بالمرحلة السابقة تبدأ فى الاضمحلال . ويبدأ الطالب فى اكتساب بعض المهارات الجديدة : التى ستلعب دورا كبيرا فى تطور شخصيته ، وبناء مواقف جديدة تجاه المجتمع الغربى : تعتمد على فهم وادراك أكثر لمسلماته الثقافية . وتشير الدراسات الى تنوع أساليب التكيف وتذبذبها فى هذه الفترة بين أسلوب الاندماج (الميل الى التقليد لثقافة اللغة الهدف) . وأسلوب الرفض (العزلة وتطوير مشاعر سلبية) وأسلوب التكيف المتوازن (فهم ثقافة اللغة الهدف والتعامل معها بمرونة واستقلال وحفظ للهوية الشخصية) .

ان مرحلة التكيف الجزئى - بأساليبها الثلاثة - هى نتيجة للصدمة الثقافية ، وهى بداية للمرحلة الأخيرة من فترة الاغتراب : ومن الصعب تحديد فترة زمنية لهذه المرحلة ، ولكن أغلب الطلبة يعرون بها قبل نهاية السنة الأولى من قنومهم (٤٢) .

٤- مرحلة التكيف النهائى :

وفى هذه المرحلة يكون الطالب قد طور مهارات للتعامل مع البيئة الجديدة ، بعض هذه المهارات يتعلق بالتعامل مع النظام التعليمى واجراسته ومواده ووسائله ، والبعض الآخر من هذه المهارات يتعلق بتطور معرفته لجوانب كثيرة من ثقافة اللغة الهدف : ويكون الطالب أيضا قد طور كثيرا من العلاقات الاجتماعية مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه حسب أسلوب التكيف الذى اختاره فى المرحلة السابقة .

وعلى كل حال : مهما يكن أسلوب التكيف ، فإن هذه المرحلة من حياة الطالب في المجتمع الغربي تخلق أبعادا جديدة في شخصيته ، كما أشارت الى ذلك دراسات كل من رتشارد تاقت R.Taft ١٩٧٧ : وسوزان كيف S.keefe ١٩٨٠ : وزابوزنك وزملاءه Szapooznik et al ١٩٨٠ ، وهذه الأبعاد تتمثل في أنه لم يعد ذلك الانسان الذي قدم من بلاده بسبب نتائج الاتصال الحضارى على شخصيته ولاكتسابه مهارات ومعارف جديدة في علاقته مع البيئة الثقافية الغربية : لكنه لا يشترك على أية حال من الأحوال في جميع السمات الثقافية المميزة للفرد الغربى .

ومفهوم الأبعاد الشخصية الجديدة (تسمى في بعض الدراسات بالانسان الجديد) ليست خاصة بالطالب المغترب : بل انها تنطبق على أى انسان ينتقل من بيئة ثقافية اجتماعية : الى بيئة أخرى ، ويتعرض لمراحل التكيف المذكورة .

بينما فيما سبق المراحل الأربع : التى يمر بها الطالب المغترب فى البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة التى قدم اليها للدراسة ، وهذه المراحل هى مرحلة الانبهار ، وتتسم بتشكيل انطباعات سطحية عن البيئة الجديدة ، ومرحلة الصدمة الثقافية التى يشعر بها الطالب نتيجة لادراكه الفروق بين ثقافته والثقافة الجديدة : ثم مرحلة التكيف الجزئى حيث تبدأ تجارب الطالب للتعامل مع البيئة الجديدة ، ويحل الطالب فى هذه المرحلة بعض مشاكله وتبقى مشاكل أخرى : كما يختار فيها أسلوب التكيف الذى يتعامل به مع الحياة الاجتماعية لحل هذه المشاكل : اما بالاندماج أو التكيف المتوازن أو الرفض . واخيرا مرحلة التكيف النهائى حيث يبدأ الطالب فى الاستقرار النفسى فى حياته فى مجتمع الغربية : وتتسم هذه المرحلة بالتميز فى شخصية الطالب وتكوين اتجاهات وميول جديدة ، كما تعرف هذه المرحلة بظهور ابعاد جديدة فى شخصيته نتيجة لطبيعة أسلوب التكيف الذى اتخذ للتعامل مع البيئة الثقافية الاجتماعية الجديدة .

وهذه المراحل الأربع فى التكيف تكون دائما متتالية : لكن مدى ادراك الطالب لها : والوقت الذى يأخذه فى الانتقال من مرحلة الى أخرى نذا مسألة نسبية ، فبينما يتمكن أحد الطلبة من تخطى هذه المراحل بسرعة (من عدة اسابيع الى عدة أشهر) مع احساس خفيف ببعض مظاهر الصدمة الثقافية ، قد تأخذ هذه المراحل وقتا أطول يمتد لأكثر من سنة عند البعض الآخر وتكون المعاناة قوية ومؤثرة .

مراحل التكيف النفسى والاجتماعى وعلاقتها بتعلم واتقان اللغة الأجنبية :

مما سبق يتبين ما للجانب الانفعالى من أهمية بالغة فى عملية تعلم واتقان اللغة الأجنبية : كما يتبين ما تمثله مراحل التكيف التى يمر بها الطالب عند بدء حياته فى ثقافة ومجتمع اللغة الهدف من تأثير على شخصيته ، والسؤال الآن : ماهى علاقة تعلم واتقان اللغة الأجنبية بمراحل التكيف المشار إليها ؟

ترى سالى متلر Sally Mettler ١٩٨٧ بأن امام متعلم اللغة الأجنبية ثلاثة حواجز رئيسية : الحاجز اللغوى ، والحاجز السلوكى ، والحاجز الثقافى : أو حاجز الانتماء . الحاجز اللغوى هو التفاهم اللفظى باللغة الأجنبية ، والحاجز السلوكى هو تعلم الأنوار الاجتماعية وطريقة التصرف المقبولة فى المواقف الحياتية فى ثقافة اللغة وتعلم العادات والتقاليد . والحاجز الثقافى ، التكيف مع انماط ثقافية جديدة والمكافحة من أجل حفظ هوية ثقافية مميزة : ويؤكد متلر بأن الفرضيات الأساسية الثلاث لتفسير عملية تعلم واكتساب اللغة (المتعلقة بالحاجز اللغوى) وهى فرضية اللغة البيئية وفرضية نموذج المراقبة وفرضية التهجين ، كلها فرضيات تعتبر قضية الثقافة فيها قضية مركزية : ومن ثم فعملية اكتساب اللغة ماهى فى واقع الأمر سوى عملية ثقاف مع بيئة جديدة (٤٣) .

ويقدم كلارك ١٩٧٦ Klarke طرحا شيقا للعلاقة بين مشكلات الطلبة المغتربين الدارسين فى الولايات المتحدة وبين تعلم الانجليزية ، مؤكدا بأن مرد المشكلات هو عدم مقدرة الطلبة على فهم المحتوى الاجتماعى للغة : فالطالب مثلا لايعرف أو يقدر معنى الوقت والمال والفراغ وأسس بناء العلاقات الاجتماعية فى الثقافة الامريكية أى لايعرف الثقافة التى تعيش فيها اللغة : وربط كلارك اتقان اللغة الانجليزية بمدى الفروق فى التقدم المادى والصناعى بين بلد الطالب الأجنبى والولايات المتحدة ، فكلما قرب بلد الطالب من التقدم المادى (حسب المعايير الثقافية الغربية) كما قلت عمليات التكيف النفسى للطالب ، وكلما ابتعد بلد الطالب عن المقاييس والمعايير المادية والصناعية الأمريكية كلما كثرت عمليات التكيف النفسى للطالب ، وهذا يعنى أن قلة المشاكل ويسر التكيف تجعل الطالب يتقن اللغة بسهولة بينما تحول كثرة المشاكل وصعوبة التكيف الشخصى والاجتماعى دون التعلم اللغوى الناجح (٤٤) .

ويلقى جيورا ١٩٧٢ Guiora الضوء على ماأسماءه بالآنا اللغوى عند الانسان وبأنه جزء لايتجزأ من شخصيته ، تزامن تشكله وتطوره مع الأجزاء الأخرى فى الشخصية

لدرجة أنه أصبح جزءاً أساسياً من الهوية الشخصية والنظرة للذات ، وبما أن تعلم لغة أجنبية يشتمل على أنا لغوية مختلفة (بسبب الاختلاف الثقافي) : أصبح التعلم بمثابة تحدٍ للأنما اللغوية الأولى ، ومن ثم يميل الإنسان لوضع الدفاعات والكوابح أمام الأنما اللغوية الجديدة لما تمثله من تهديد لشخصيته ، وهذا يؤدي إلى العزلة والارتباك والتردد وخاصة بالنسبة للكبار الذين نموا وترعرعوا بأمان في هويتهم الثقافية ، ويحذر جيورا من تطور صراع الهوية لدى المتعلم وما قد يجره من مشكلات في التكيف وفشل في التعلم اللغوي (٤٥) .

وعند إعادة قراءة نتائج الدراسات حول تعلم اللغة الأجنبية التي أجريت خلال العقود الماضية نجد أن بعض هذه الدراسات تلمح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى علاقة تعلم اللغة الأجنبية بمراحل التكيف التي ذكرناها ، ويستثنى من ذلك المرحلة الأولى : مرحلة الانبهار حيث لا يتوافر عنها دراسات يمكن الرجوع إليها . ولكن يمكن القول بأن الانبهار والاعجاب السطحي بثقافة اللغة في الأسابيع الأولى من قدوم الطالب قد يشكل نوعاً من الحافز للتعلم اللغوي : وعند تشكل مثل هذا الحافز لاشك أن ذلك سيمثل أرضية ملائمة لمتابعة المهمة الشاقة للتعلم اللغوي .

أما الصدمة الثقافية فإن تأثيرها على التعلم اللغوي شديد الوضوح : وقد شبه مارك كلارك ١٩٧٦ تعلم اللغة والثقافة الثانية في مرحلة الصدمة الثقافية بما يشبه انفصام الشخصية (والتي تصبح فيها اللقاءات الاجتماعية مصدر تهديد وخوف دائمين تستخدم أساليب الدفاع للتخفيف عن صدمتها) . ويعتقد كلارك بأن انفصام الشخصية مظهر من مظاهر الصدمة الثقافية عند تعلم اللغة : وهي مرحلة حاسمة للغاية يتحدد من خلالها مصير المتعلم ، فأما ينجو بتخطيها أو يغرق (٤٦) . يقصد إما ينجح في انجاز التعلم أو يفشل وينسحب من المهمة بدون تحقيق انجاز يذكر ، ولكن ادلر ١٩٧٢ يوضح بأن الصدمة الثقافية : وإن كانت تحتوي على بعض مظاهر الأزمة النفسية : إلا أنها تمثل خبرة تعليمية وثقافية ايجابية عميقة تثرى الشخصية الانسانية وتؤدي إلى تطويرها لأبعاد قيمة : فهي تؤدي إلى إعادة تقييم الشخص لثقافته والنظر عليها بشكل أوضح وتقدير تأثيرها عليه : وتؤدي كذلك إلى فهم القيم والمواقف والاتجاهات ووجهات النظر الموجودة لدى الشعوب الأخرى (٤٧) : ويؤكد شومان ١٩٧٦ بأن الصدمة الثقافية (ادراك الفروق بين الثقافتين وخاصة ما يتعلق بعبادات وتقاليد المجتمع الصناعي مقابل المجتمعات التقليدية) تؤثر بالفعل على المتعلمين ويمكن أن تعوق عملية التعلم اللغوي (٤٨) .

ويشير قاردنر ولامبرت ١٩٦٧ ، ١٩٧٢ فى دراساتهم المشهورة حول أثر الحوافز والتوجهات فى اتقان اللغة الأجنبية الى المرحلة التى يمر بها متعلمو اللغة الأجنبية والتي تتصف بمشاعر عدم الاطمئنان والقلق والخوف وعدم الرضا : وهى مرحلة تحدث عند بداية تعلم اللغة والاحتكاك بثقافتها ، وتقيد نتائج دراساتهم بأن المشاعر فى هذه المرحلة تستقر وتكون فى أعلى مستويات حدتها عندما يبدأ الشخص فعليا باتقان اللغة الأجنبية (٤٩) .

وتؤكد ميلادا دسمان Milada Disman ١٩٨٢ فى دراسة أجرتها على المهاجرين الى كندا الذين يتعلمون الانجليزية بأن المتعلمين لا ينظرون الى الانجليزية بطريقة منفصلة عن تعلم الثقافة الكندية ، وقد استشهدت بالعديد من أحاديث وتأملات المهاجرين وسيرهن الذاتية حول تجربة الاغتراب ودلت على العلاقة بين اللغة والثقافة . كما استشهدت بدراسة قامت بها ماري آشوروت Mary Ashworth على عينة من معلمى اللغة الانجليزية لكفة أجنبية فى كندا حيث افادت آشوروت بأنها عندما سألت المعلمين عن أهم مشكلة تواجه متعلمى الانجليزية فى كندا افاد أربعة من خمسة بأنها مشكلة التكيف مع الثقافة الجديدة : بينما واحد فقط من خمسة قال (تعلم اللغة) (٥٠) .

وهذا يوضح بجلاء ما للصدمة الثقافية من أثر فى تعلم اللغة الأجنبية فهى تضع الكثير من الضغوط النفسية والمعرفية على المتعلم لاستعمال اللغة والتعبير عن أحاسيسه ومشاعره لحفظ توازنه النفسى ومعالجة ما قد ينتابه من صراع فكرى وسلوكى نتيجة لالتقاء ثقافتين مختلفتين ، وعند قدرته على الصمود امام معطيات الصراع الثقافى ينتقل الى المرحلة الثالثة من التكيف والتي تعتبر مرحلة حاسمة بالنسبة للتعلم اللغوى .

وللتعرف على علاقة المرحلة الثالثة فى التكيف بالتعلم اللغوى نرجع الى الوصف الذى قدمه قاردنر ولامبرت ١٩٦٧ : ١٩٧٢ فى دراساتهم التى سبق الاشارة اليها حيث يتبين من عرض الحالات النفسية التى مر بها الطلاب فى الدراسات الى افتقاد الاستقرار النفسى بحيث تجد الطلاب يتحايلون للرجوع أو النكوص عن الحديث بالانجليزية ويميلون للبحث عن المواقف التى تبعدهم عن الاتصال ثقافيا بمتحدثى الفرنسية ، وهذه المشاعر قد تلائم التذبذب الذى يحصل فى المرحلة الثالثة : وهى تجسيد للأساليب والطرق وأنماط الدفاع عن الذات التى تبرز عند الشعور بالصدمة الثقافية والتعامل مع معطياتها .

وتعتبر المرحلة الثالثة كما أوضحنا مرحلة الشفاء التدريجى المؤقت والمتذبذب (وخاصة عن بدايتها) وتتمثل بصفة عامة فى ما وصفه لارسون Larson وسمالى

Smalley ١٩٧٢ بالضغط الثقافي Culture stress عند تعلم اللغة الأجنبية حيث تنتهي بعض مشاكل التثاقف بينما تبقى مشاكل أخرى لبعض الوقت : وتحدث عملية التكيف وتتقدم ولكنها تتم بشكل بطيء (٥١) .

ويربط براون Brown ١٩٨٧ ربطا شيقا بين ما أسماه نور كايم ١٨٩٧ بظاهرة الاضطراب النفسي التي تحدث لمتعلم اللغة الأجنبية في بداية تعلمه وبين الفترة التي يكون المتعلم فيها قد ابتعد قليلا عن الثقافة الأصلية ولكنه لم يصل الى درجة التكيف الكامل او الاندماج مع ثقافة اللغة الهدف (٥٢) .

وقد نستطيع القول بأن هذه الظاهرة وفي مثل هذه الفترة بالذات ربما تمثل عرضا من أعراض بداية المرحلة الثالثة .

وتفيد نتائج دراسة وليام أكتون William Acton ١٩٧٩ حول علاقة تعلم اللغة الأجنبية بطول المكث في ثقافتها الى وجود مرحلة وسطى يكون فيها المتعلم أنجح في تعلم اللغة من أى مرحلة أخرى . حيث وجد الباحث أن الدارسين للغة الانجليزية كلفة أجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية والذين أمضوا أربعة أشهر في الحياة الأمريكية منذ مجيئهم للدراسة هم أفضل الطلبة اجادة للغة الانجليزية : ويتميز هؤلاء المتعلمون بصفات نفسية واجتماعية متشابهة : وتقوم فكرة الاستبيان الذى صممه أكتون للوصول الى نتائج ، على قياس مايعتقده متعلم اللغة من مسافة نفسية (الفروق في الأفكار والمعتقدات والحكم على الأشياء) بينه وبين ثلاثة أبعاد . البعد الأول تقدير المتعلم للمسافة بينه وبين المجتمع الذى ينتمى اليه : والبعد الثانى تقديره للمسافة بينه وبين مجتمع اللغة الهدف : والبعد الثالث تقديره للمسافة بين المجتمع الذى ينتمى اليه ومجتمع اللغة الهدف ، أى هل نظرة المتعلم للأمور وحكمه على الأشياء مشابه أو قريب لما يعتقد أنه موجود لدى مجتمعه أو لدى المجتمع الذى يتعلم لغته ؟ وإذا كان يعتقد بوجود مثل هذه الفروق ، فهل هي كبيرة ام صغيرة . وما علاقة ذلك باتقان اللغة الانجليزية ؟ وبعد الاجابة على الاستبيان الذى يعتمد على المعانى الضمنية للكلمات كمؤشرات للفهم الثقافى ، تفيد نتائج الدراسة أن المتعلمين الذين يرون أنهم قريبين جدا أو بعيدين جدا عن كل من الثقافة الأمريكية أو ثقافتهم الأصلية يصنفون على أنهم أسوأ المتعلمين اجادة للانجليزية (حسب اختبار متشيجان لاتقان اللغة الانجليزية) بينما المتعلمين الذين يرون ان هناك مسافة بينهم وبين كل من الثقافتين يصنفون على أنهم الأكثر نجاحا في تعلم واتقان الانجليزية . وقد وجد أن هذه الفئة الأخيرة التى تقع فى منطقة وسطى من المسافة وتتميز بصفات نفسية واجتماعية متشابهة ، قد أمضت أربعة أشهر فى الحياة

الأمريكية منذ مجيئها للدراسة (٥٣) . وقد يكون في ذلك إشارة الى نوع المتعلمين الذين يختارون أسلوب التكيف المتوازن حيث أوضحنا بأن مثل هؤلاء المتعلمين يميلون الى فهم ثقافة اللغة الهدف والتعامل معها بمرونة واستقلال مع حفظ للهوية الشخصية المتميزة .

ويقدم براون بقوة واقناع فرضيته المسماة بفرضية الفترة الحرجة التي تعتمد على معطيات ثقافية واجتماعية . وتتلخص فرضية الفترة الحرجة بأن الكبير (بغض النظر عن عمره) عند تعلمه للغة أجنبية في ثقافتها يمر بفترة حرجة تعتبر أفضل الفرص للتعلم اللغوي الناجح : ويعتقد براون بأن سبب توفر هذه الفترة الحرجة هو ما يمر به المتعلم من مراحل التكيف : تعمل هذه المراحل على إفران ظروف نفسية وضغوط عقلية ملائمة تساعد على التعلم والاتقان اللغوي ، ويربط براون هذه الفترة الحرجة بالمنطقة الوسطى من المسافة التي يتحدث عنها أكتون في دراسته السابقة : ويؤكد أن هذه الفترة ما هي في واقع الأمر سوى المرحلة الثالثة من مراحل التكيف : يرى براون : أن إتقان اللغة الأجنبية والمهارة في اتصال عن طريقها وطلاقة الحديث بها (عند تعلم اللغة في ثقافتها) يحدث في وقت ما عند بداية المرحلة الثالثة من مراحل التكيف .

وبناء على هذه الفرضية يمكن القول بأن نجاح الاتقان اللغوي قد لا يحدث قبل بداية المرحلة الثالثة من التكيف : ويمكن القول أيضا بأن متعلمي اللغة الأجنبية قد لا يحالفهم النجاح في اتقان اللغة اذا انتقلوا من المرحلة الثالثة بدون أن يحدث التعلم الفعال .

إن المرحلة الثالثة من التكيف لا ينظر اليها على اعتبار أنها البعد الاجتماعي النموذجي للتعلم اللغوي فقط بل باعتبارها تمثل المرحلة المعرفية المثلى والمرحلة النفسية النموذجية التي توفر أفضل الضغوط الضرورية للتعلم اللغوي ، وهذه الضغوط ليست شديدة للغاية (كما هو الحال في المرحلة الثانية : مرحلة الصدمة الثقافية) ولكنها ليست خفيفة كذلك (كما هو الحال في المرحلة الرابعة : مرحلة التكيف النهائي) (٥٤) .

هذا فيما يتعلق بتعلم واتقان اللغة في المرحلة الثالثة : أما بالنسبة للمرحلة الرابعة من التكيف فيبدو أن التعلم اللغوي أقل فاعلية وقلما يتم بنجاح في هذه المرحلة ، ففي دراسات جون شومان John Schuyman حول المسافة الاجتماعية والمسافة النفسية وأثرها في اكتساب اللغة تبين في أحد الدراسات التي أجراها على شخص ايطالي يتعلم الانجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٧٦) أن المتعلم بعد أن عاش في أمريكا فترة من الزمن وتكيف مع أساليب الحياة استمر في عدم القدرة على اتقان الانجليزية

ويظهر في لفته الكثير من الأشكال المتحجرة الخاطئة التي انطبعت في الذهن وأصبحت جزءاً من سلوكه اللغوي (٥٥).

وقد تصدق نتائج هذه الدراسة على ما نلاحظه كثيراً من أخطاء لغوية كبيرة لدى كثير من العمالة الأجنبية الوافدة في بلدة مثل المملكة العربية السعودية على سبيل المثال حيث يمر أغلب هؤلاء في مراحل التكيف بدون توفر فرصة التعلم المنظم للغة العربية مما يؤدي إلى تطوير أشكال لغوية خاطئة تتحجر وتنطبع في الأذهان ، فتجد أن الكثير من هؤلاء : حتى بعد مرور سنوات عديدة من الحياة في المملكة ، يستمرون في استعمال هذه الأشكال اللغوية الخاطئة مثل العبارات الشائعة (أنا مايعرف) (أنا فيه معلوم) (أنت يروح بكره) ... الخ .

ويتضح من الأبحاث والدراسات التي قدمناها حول علاقة تعلم وإتقان اللغة الأجنبية بمراحل التكيف الآتي :

١- أن السنة الأولى من الاغتراب وتعلم اللغة الأجنبية في ثقافتها تمثل تجربة انفعالية مؤثرة تساعد وتحفز على التعلم والاكساب اللغوي وتوفر ضغطاً نفسياً ومعرفياً لتحقيق ذلك .

٢- أن أغلب التعلم والاكساب اللغوي للغة الأجنبية عند تعلمها في ثقافتها يحدث في غضون السنة الأولى من الاغتراب وذلك بسبب العلاقة القوية بين مراحل التكيف النفسي والاجتماعي التي يمر بها المتعلم عند حياته في ثقافة اللغة التي يتعلمها وبين التعلم والاكساب اللغوي .

٣- أن المرحلة الثانية من مراحل التكيف (الصدمة الثقافية) هي أصعب المراحل من ناحية انفعالية وقد لا تساعد الضغوط النفسية المصاحبة لها على تحقيق التعلم والاكساب اللغوي الفعال : بل قد تفشل وتعيق متابعة مهمة تعلم اللغة الأجنبية .

٤- أن المرحلة الثالثة تعتبر أهم وأفضل المراحل لتحقيق النجاح في تعلم وإتقان اللغة الأجنبية : وذلك لأن هذه المرحلة تمثل نوعاً من القلق الانفعالي والمعرفي الأمثل المطلوب لانتاج الضغوط الضرورية لتحقيق هذه المهمة التعليمية المعقدة، ذلك النوع من الضغوط الذي لا يتسم بالشدة العالية (كالذي يحدث في المرحلة الثانية) ولا يتسم بالضعف الشديد (كالذي يحدث في المرحلة الرابعة) .

٥- أن تخطى المرحلة الثالثة إلى الرابعة بدون تحقيق تعلم لغوي فعال ونجاح

وأضح قد يؤدي الى عدم القدرة على اتقان اللغة الأجنبية البتة ، وذلك يعزى الى عدم تزامن التطورات الثقافية فى شخصية المتعلم مع التطورات اللغوية ، فالمتعلمون الذين طوروا أنوات غير لغوية فى تكيفهم مع ثقافة اللغة الأجنبية مروا خلال المرحلة الثالثة من التكيف الى الرابعة بكثير من الأخطاء اللغوية المتحجرة التى انطبعت فى الذهن وجعلت اتقان اللغة أمراً فى غاية الصعوبة ، والسبب فى ذلك يكمن فى ان المتعلم فقد الضغوط التى تولد الرغبة : ومن ثم القدرة المركبة والصبر والمثابرة على الحديث باللغة لأنه طور اشكالا وأساليب متنوعة من التعامل مع البيئة الثقافية الجديدة : أى انه أصبح يعبر عن الوظائف اللغوية بدون استعمال الأشكال اللغوية المناسبة .

النتائج المترتبة فيما يتعلق بطرق التدريس :

أوضحنا فيما سبق ما لمراحل التكيف التى يمر بها المتعلم عند تعلمه اللغة الأجنبية فى مجتمع اللغة الهدف من آثار قوية على التعلم اللغوى . والسؤال الآن هو : كيف يمكن الاستفادة من هذه المعطيات فى طرق تدريس اللغة الأجنبية ؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل نورد نتائج بعض الدراسات التى اهتمت بهذا الجانب وقدمت توصيات محددة فى هذا الاتجاه ، ونستهل ذلك بمقدمة عن الأهداف الثقافية لتعلم الأجنبية ، فقد وضع روبرت لافيت R. lafayette (١٩٨٧) مجموعة من الأهداف الثقافية نختصر أهمها فى الآتى :

- ١- معرفة أبرز السمات التاريخية للدولة (او الدول) المرغوب تعلم لغتها .
- ٢- معرفة أهم الأحداث التاريخية لثقافة اللغة الأجنبية .
- ٣- معرفة أهم المعالم الجمالية الثقافية فى مجالات الفنون والآداب .. الخ .
- ٤- معرفة الانماط الثقافية الظاهرة للحياة اليومية (مثل أساليب التحية والاكل والتسوق)
- ٥- معرفة الأنماط الثقافية المختلفة (مثل تقاليد الزواج والتعليم والسياسة) .
- ٦- التعامل بطريقة مناسبة مع ظروف الحياة اليومية .
- ٧- استعمال الاشارات والحركات المناسبة فى التعامل الاجتماعى (معرفة المسلمات الثقافية) .
- ٨- احترام تنوع الثقافات والشعوب (٥٦) .

وتتنوع طرق التدريس التي توفر فرصا ملائمة لتحقيق الأهداف الثقافية لتعلم اللغة الأجنبية : فهناك قطع القراءة المختارة ذات المحتوى الثقافى أو الحوارات الثقافية والأفلام والألعاب المتنوعة والمواقف التدريسية على بعض الممارسات الثقافية .. الخ .

ولتخطى مشكلات الصدمة الثقافية يقدم دان هو Danhuo وبارسون Parsons (١٩٨٢) نتائج جيدة حصلوا عليها من استعمال أسلوب لعب الأنوار فى الفصل الدراسى : وعن طريق هذا الأسلوب يقوم المعلم بتصميم مواقف معينة ويعطى فيها المتعلمون أنوارا متنوعة لتمثيل شخصيات فى ثقافة اللغة الهدف : كزوار لمنااسبة اجتماعية : أو زبائن لدى محل تجارى : أو عملاء فى بنك .. الخ : ويتم بناء على ذلك التعلم والتفاهم ، وقد أفادت الدراسة بأن أنشطة لعب الأنوار فى فصل تعليم اللغة الأجنبية يشجع على الحوارات الثقافية التى تدعم بدورها الفهم الثقافى وتقدم فرصة جيدة للاتصال اللغوى (٥٧) .

وتقدم كرس جيمس Chris James (١٩٨٤م) العديد من المجالات لدعم عمليات التثاقف فى فصل تعليم الانجليزية كلفة أجنبية ومن أهمها مقارنة الثقافات مع بعضها البعض فى الفصل الدراسى وإجراء المناقشات المقيدة (المحددة فى الاجابة على أسئلة معينة) والمناقشات المفتوحة (التي يتاح للطلاب فيها حرية النقاش) ، وتؤكد جيمس على أن احترام الطالب لنفسه وثقته بها تحسن من عملية الثقافة وتؤدى الى نجاح التعلم اللغوى ، وهذا يتم عن طريق تشجيع الطلاب على التعبير عن مشاعرهم الداخلية وتعزيز التعاون فيما بينهم على مباشرة التعلم وإجراء الحوارات الثقافية داخل الفصل وخارجه (٥٨) .

وتعدد جين جونستون Jean Johnston (١٩٨٢) الفوائد المتعددة التى يمكن أن يجنيها المتعلم من جراء الحياة مع عائلة فى ثقافة اللغة الهدف ، كما تؤكد على أهمية بعض الأنشطة التعليمية التى تمتد الى المجتمع خارج الفصل الدراسى مثل تكليف المتعلمين بإجراء المقابلات ومسح الآراء حول قضايا معينة وجمع الأخبار من وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية وغيرها من مختلف أساليب جمع المعلومات (٥٩) .

وينبه نوستراند Nostrand (١٩٦٦) الى أهمية التعليم اللغوى المقنن الذى يقدم المحتوى الثقافى للغة الأجنبية على شكل جرعات مناسبة : وخاصة فى المرحلة الثانية (الصدمة الثقافية) بحيث يجهز المتعلم بالفروق بين الثقافتين بطريقة سهلة متدرجة ، ويعتقد بأن الفشل فى تقديم المادة الثقافية بهذه الطريقة سيؤثر سلبا على تعلم واتقان اللغة الأجنبية (٦٠) .

ويقترح براون Brown (١٩٨٧) فى اشارة صريحة الى كيفية تعامل المعلمين مع تقديم المادة اللغوية فى غضون مراحل التكيف الى اتباع أساليب محددة ، وفى المرحلة الأولى (التى أسميتها الانبهار) يتم الاعتماد أكثر على اللغة الاصلية للتعلم ، أو على الأقل جوانب كبيرة منها : وفى المرحلة الثانية (الصدمة الثقافية) يتم الاعتماد أكثر على المواد التعليمية التى تركز على الفروق بين الثقافتين : وفى المرحلة الثالثة (التكيف الجزئى) يبدأ التركيز المكثف على تقديم المادة اللغوية بحيث تتم الاستفادة من الظروف المعرفية والنفسية التى يمر بها المتعلم والتى تعتبر الظروف المثلى لقابلية التعلم والاتقان اللغوى (٦١) .

وقد أكدت نصائح الباحثين والمعلمين بأن تحقيق هذه الأهداف لابد أن يصحبه احترام للمتعلم وثقافته (جاراميلو Jaramillo ١٩٧٢ : بيجن Begin ١٩٧١ : ستيفك Ste-vick ١٩٧٥) وعدم فرض التوجه الاندماجى مع ثقافة اللغة الهدف لما لذلك من أثر على اختلال توازن شخصية المتعلم : وخلق الصراعات الداخلية لديه مما قد يفشل التعلم ويبعد عن تحقيق الأهداف الوظيفية التى من أجلها شرع المتعلم فى مهمة تعلم اللغة الأجنبية ، كما يؤكد الكثير من المربين على قضية مهمة فى هذا المجال ، فبالرغم مما لتعلم النواحي الثقافية من أهمية عند تعلم لغة أجنبية : إلا أن الهدف الأساسى من التعلم اللغوى يجب أن يكون لتشكيل ثنائية لغوية وليس ثنائية ثقافية (٦٢) .

وتركز بعض الدراسات على أهمية الدور الذى يلعبه المعلم عند تعليم المحتوى الثقافى للغة : وأهمية إشعار المتعلمين بالاحترام والتشجيع مهما تكن الفروق الثقافية بين المعلم والمتعلم وتقديم الثقافة للمتعلمين على أنها مختلفة وهذا لايعنى أنها أفضل : بل يكون الهدف تنمية الإحساس بالفروق الثقافية بين ثقافة المتعلم وثقافة اللغة الهدف ومعرفة هذه الفروق لتسهيل عمليات التعامل والاتصال (٦٣) ، كما نبه بعض الباحثين إلى الابتعاد عن دراسة أو مناقشة الأحداث التاريخية أو العلاقات الحساسة بين الثقافتين بحيث لا يؤثر ذلك على الدافع للتعلم أو يطور مشاعر سلبية تجاه تعلم وتعليم اللغة الأجنبية (٦٤) .

وأخيرا لابد من الاشارة الى قضية مهمة وهى أن الأساليب والاستراتيجيات وطرق التدريس التى تحدثنا عنها تمثل أدوات تعليمية قيمة عند الحديث عن دعم وتعزيز عملية تعليم اللغة الأجنبية فى غضون المرور بمراحل التكيف : ولكن هذه الأدوات التعليمية القيمة لاتمنع حدوث مراحل التكيف ولكنها تستفيد من هذه الظاهرة الانسانية وتسخرها لتحقيق تعلم لغوى أفضل ، ومن العيب أن يدعى أحد أن بإمكانه منع حدوث

الصدمة الثقافية عن طريق استعمال بعض التحصينات الوجدانية ولكن يمكن للمعلمين لعب دور علاجي لمساعدة الطلاب في اجتياز مراحل التكيف واستثمارها في التعلم والاتقان اللغوي .

الخاتمة :

تهدف هذه الدراسة الى الاجابة عن الاسئلة الاربعة الآتية :

- ١- ما أثر الجانب الانفعالي في شخصية المتعلم على تعلم اللغة الأجنبية واتقانها ؟
- ٢- لماذا يحقق تعلم اللغة الأجنبية في بيئتها الثقافية وفي الوطن الأصلي لمتحدثيها نتائج ايجابية أكثر من النتائج التي يمكن ان تتحقق خارج هذه الاطار ؟
- ٣- مانوع العلاقة بين مراحل التكيف النفسي والاجتماعي التي يمر بها المتعلم في معاشته ثقافة جديدة وبين تعلم لغة هذه الثقافة الأجنبية واتقانها ؟
- ٤- ما هي التوجهات التربوية وطرق التدريس الملائمة التي تساعد على تحفيز الجانب الانفعالي لدى المتعلم، وخاصة في فترة الاغتراب ، لتعزيز عملية التعلم اللغوي ؟

وقد قدمت الدراسة تحليلاً مفصلاً للاجابة عن كل سؤال على حدة : فالاجابة عن السؤال الأول المتعلق بأثر الجانب الانفعالي على تعلم واتقان اللغة الأجنبية تؤكد أهمية هذا الجانب وأثره الفعال في تحقيق النجاح اللغوي وذلك لما لهذا الجانب من دور كبير في تحفيز المتعلم ودفعه نحو تحقيق تعلم واكتساب اللغة الأجنبية ، وقد أيد هذه الحقيقة مجموعة الدراسات والأبحاث التي تم استعراضها في مجال علم اللغة الاجتماعي ، مثل دراسة الظواهر الثقافية الاجتماعية كالمسافة الاجتماعية والمسافة النفسية والاتجاهات والميول والحوافز ، كما أيد هذه الحقيقة تلك الدراسات والأبحاث التي تم استعراضها في مجال علم اللغة النفسي كالنظرة للذات والانبساط والعوانية والمشاركة الوجدانية .

والاجابة عن السؤال الثاني المتعلق بآلية تعلم اللغة الأجنبية في بيئتها الثقافية وفي الوطن الأصلي لمتحدثيها توضح بجلاء دور الثقافة وأثره البالغ في التعلم واكتساب اللغوي ، فعن طريق هذا الثقافة وما ينتج عنه من مراحل تكيف نفسي واجتماعي تنهياً للضغوط المثلى للتعلم مما يجعل لتعلم اللغة الأجنبية في بيئتها الثقافية : غالباً : نتائج ايجابية أكثر من تلك التي يمكن الحصول عليها خارج هذا المحتوى .

وتقدم لنا الاجابة على السؤال الثالث معالجة تفصيلية لطبيعة العلاقة بين مراحل

التكيف النفسى والاجتماعى التى يمر بها المتعلم عند اغترابه وبين تعلم وانتقان اللغة الأجنبية ، فالعلاقة بين المراحل والتعلم اللغوى قوية للغاية : ففي المرحلة الأولى من التكيف (مرحلة الانبهار) تشكل الأرضية الملائمة لتحفيز المتعلم على تعلم واكتساب اللغة الأجنبية ، وفي المرحلة الثانية (الصدمة الثقافية) يكون الجانب الانفعالى فى شخصية المتعلم فى ذروته مما يؤدى الى بعض الضغوط النفسية الحادة المصاحبة التى قد لا تساعد على تحقيق التعلم واكتساب اللغوى الفعال ، وفي المرحلة الثالثة (التكيف الجزئى) تتوفر الظروف الثقافية المثلى ويوجد نوع من القلق الانفعالى والمعرقى الأمثل (ليس بالحاد وليس بالخفيف) المطلوب لانتاج الضغوط الضرورية لتحقيق النجاح فى تعلم وانتقان اللغة الأجنبية ، وفي المرحلة الرابعة (التكيف النهائى) تكون حوافز التعلم ضعيفة والضغوط النفسية المطلوبة لمواصلة مهمة التعلم اللغوى خفيفة أيضا مما يجعل من الصعب تحقيق تعلم أو اكتساب لغوى فعال .

وأخيرا أجبنا على السؤال الأخير المتعلق بطرق التدريس الملائمة التى تساعد على تحفيز الجانب الانفعالى بإيراد العديد من الدراسات التى تناولت هذا الجانب وقدمت توصيات محددة لتعزيز عملية التعلم واكتساب اللغوى .

- ١ - ابراهيم بن حمد القعيد ، " مشكلات التكيف للطلاب الاجانب في المؤسسات التعليمية الغربية " مجلة جامعة الملك سعود ، م ، العلوم التربوية (١) (١٤١٠هـ/١٩٩٠) عن ص ٢١٧ - ٢٤٠ .
- 2 - Ernest Hilgard , "motivation in Learning Theory " Psychology : A Study of Science ,ed.S . 5 (New York :McGraw Hill Book Co. 1983) P.265.
- 3 - David Krathwol ,Bloom,Banjamin and Masia ,Taxonomy of Educational Objectives (New york:David McKay Co.,1964) PP.95-185 .
- 4 - Kenneth Pike ,Language in Relation to a Uni fied Thec ry of the stracture of Human Behavior (The Hague :Mouton Publishers, 1967) P.26 .
- 5 - John Schuman , "Social Distance as a Factor in Second Language Acquisition "Language Learning V.26 (1976)PP.135-143 .
- 6 - William Acton, "Second Language Learning and Perception of Difference in Attitude " (Unpublished Doctoral Dissertation,University of Michigan 1979).
- 7 - John Schumann , "Social Distance as a Factor.....,"P.141 .
- 8 - William Acton , "Second Language Learning ..,"
- 9 - R.C.Gardner and W.E .Lambert , "Motivational Variables in Second Language Acquisition "Canadian Journal of Psychology V. 32 (1966) PP.24-44 .
- 10 - Glyn E.Lewis and Carolyn E.Massad,The Teaching of English as a Foregin Language in Ten Countries (Almqvist and Wiksell International ,Stockholm ,Sweden) P 155 .
- 11 - William Acton , "Second Language Learning,"P.70 .
- 12 - Stanely Coopersmith ,The Antecedents of Self-Esteem (San Francisco:W.H.Freeman and Co.1967)PP.4-5 .
- 13 - Abraham Maslow ,Motivation and Personality ; 2nd ed .(New York :Harper and Row 1970) .
- 14 - Carl,Roger ,Freedom to Learn (New York :Delacount Press ,Inc .1977)
- 15 - Adelaide Heyde , "The Relationship between Self-esteem and the Oral Production of a Second Language (Unpublished Doctoral Dissertation,University of Michigan 1979).

- 16 - Moskewitz Gertrude ,Caring and Sharing in the Foreign Language Class (Rowley Mass.Newbury House Publishers Inc.1978).
- 17 - Deborah Busch , "Introversion -extraversion and the EFL Proficiency of Japanese Students , "Language Learning No .32 (1982) PP.109-132 .
- 18 - Douglas Brown ,Principles of Language Learning and Teaching Sec.ed .(Englewood Cliffs,N.J.Prentice Hill Inc.1987)P.104 .
- 19 - Doob J.Dollared et al ,Frustration and Aggression (New Haven Conn.Yale University Press 1939)P.9.
- 20 - Paul La Forge," Community Language Learning : A Pilot Study ." Language Learning NO.21 (1971)PP.45-61 .
- 21 - Douglas Brown,Principles of Language .,P.112 .
- 22 - Ibid,P .115 .
- 23 - Alexander Z. Guiora,et al , "Empathy and Second Language Learning . "Language Learning No.22 (1972 B0PP.111-130 .
- 24 - Ibid., P.120 .
- 25 - Louise S .Spindler (ed),Culture Change and Modernization (Holt, Rinehart and Winston M.Y .1977) P.31 .
- 26 - Ibid .,P.31 .
- 27 - John Berry , "Acculturation and Varieties of Adaptation ." Acculturation :Theory ,Models and Some New Findings .Amado Padilla (ed.) (Westview Press ,Boulder ,Colorado 1980) P.7 .
- 28 - Ibid .,P.8 .
- 29 - Ibid .,P.8 .
- 30 - Suzan Keefe , "Acculturation and the Extended Family"Acculturation :Theory ,Models and Some New Findings.Amado Padilla (ed) (Westview Press ,Boulder ,Colorado 1980) ,P.23 .
- 31 - John Berry , "Acculturation as Varieties ..." P14 .
- 32 - Ibid .,P.16 .
- 33 - W.Sewell and Oulf Davidson ,Scandinavian Students in an American University (University of Minnesota Press, Minneapolis ,1961).
- 34 - Ibid., P.41 .
- 35 - Cora Du Bois ,Foreign Students and Higher Education in the United State (American Council on Education ,Washington ,D.C.1956).
- 36 - Mark Klarke,"Clash of Consciousness "Language Learning V .26

- (1976) P377-390 .
- 37 - Peter Adeler, "Culture Shook and the Cross Culture Learning Experience "Reading in Intercultural Education (Intercultural Communication Network, 1972) P.8 .
- 38 - Douglas Brown , "The Optimal Distance Model of Second Language Acquisition "TOSEL V.2 (1980) PP.157-164 .
- 39 - Szapoeznik ,et al., "Biculturalism and Adjustment " Acculturation : Theory ,Models and Some New Findings .Amado Padilla (ed.) (Wesview Press Boulder ,Colorado 1980).
- ٤٠ - مجلة المبتعث ، المجلد السادس ، العدد الرابع ، محرم ١٤٠٤هـ - مجلة طلابية تصدرها الممحقبة الثقافية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية (هيوستن تكساس) ص ٢٠ .
- 41 - Doglas Brown , "The Optimal Distance ... "P.158 .
- 42 - Ibid .,P159 .
- 43 - Sally Mettler , "Acculturation ,Communication ,Apprehension and Language Acquisition "Community Review V.8 (Fall1 987) PP 5-15 .
- 44 - Mark Klarke , "Clash of Consciouness" PP.377-390 .
- 45 - Alexander Guiora et al "Empathy and Second Language Learning " PP .111-130 .
- 46 - Mark Klarka , "Clash of Consciouness "PP.377-390 .
- 47 - Peter Alder , "Culture Shock ... "P .8.
- 48 - John, Schumann , "Social Distance ... "PP 135-143 .
- 49 - Robert Gardener and Wallace Lambert ,Attitudes and Motivation in Second Language Learning (Rowely ,MA : Newbury House Publishers ,1972) .
- 50 - Milada Disman , "ESL and a new Culture " TESL Talk V .13 No. 3 (Sum .1982) PP.71-82 .
- 51 - Donald Larson and William Smalley ,Becoming Bilingual : A Guide to Language Learning (New Canaan ,Conn .Practical Anthropology , 1972) .
- 52 - Doglas Brown ,Principles of Language Learning P .130 .
- 53 - William Acton , "Second Language ... "
- 54 - Doglas Brown , "The Optimal Distance Model ... "P .161 .
- 55 - John Schumann , "Social Distance ... "
- 56 - Rober C .Lafayette ,Teaching Culture : Strategies and Techniques

- (Arlington , Virginia : Center for Applied Linguistics ,June 1987) .
- 57 - Meghan Donahue and Parsons , "The Use of Role Play to Overcome Culture Fatigue " TESOL Quarterly No .16 (1982) PP .359-365 .
- 58 - Chris James , "Curriculum Across Canada : Acculturation in ESL Curriculum " English Quarterly (Winter 1984) PP .37 -46 .
- 59 - Jean Johnston , "Being Their " Paper presented at the Annual Convention of Teachers of E .to Speakers of Other Languages ,No .16 (May 1-6 1982) Honolulu ,HI .
- 60 - Haward Nostrand , "Describing and Teaching the Socio-Cultural Context of a Foregin Language and Literature " Trends in Language Teaching Albert Valdman (ed) (New York : McGraw Hill Book Co .1966) .
- 61 - Doglas Brown "The Optimal Distance"P .158 .
- 62 - Cem Alpekin , " Target Language Acquisition Through Acculturation " Canadian Modern Langyage Review V .39 No .4 (May 1983) pp .818-26 .
- 63 - Mary Finocchiaro , "The Crucial Variable in TESOL :The Teacher " The Human Factors in ESL (ed) James E .Alatis and Ruth Crymes (TESOL Washington D .C .1977) .
- 64 - Cem Alpekin , "Target Language Acquisition ..."